

أشد الناس عداوة لأهل الإيمان

الخطبة الأولى

أما بعد . .

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ولدينه وأوليائه يجاربون أحمدته تعالى وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله رحمةً للعالمين على حين فترة من الرسل فدعا الناس كافةً إلى توحيد رب العالمين والانقياد إلى شرعه القويم، بُعث بين يدي الساعة بالسيف بشيراً ونذيراً فبلغ الرسالة أحسن البلاغ وأدى الأمانة أتم الأداء وجاهد في الله الأعداء من اليهود والمشركين والنصارى والمنافقين حتى أتاه اليقين وهو على ذلك، فصلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وعلى سائر عباد الله الصالحين.

أما بعد . .

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الله سبحانه سنناً في الأمم والمجتمعات لا ينحرم نظامها ولا يضطرب ميزانها ولا يتغير سيرها ولا يتأخر وقوعها، دائمة دوام الليل والنهار مطردة على مر العصور والأعوام، لا يعترها ارتباك ولا اختلال، قال الله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(١) ومن هذه السنن أن الله سبحانه وتعالى قضى بأن يكون لكل نبي عدوٌّ من المجرمين يجاربه ويعمل على إبطال رسالته وإطفاء أنوار شريعته ودحض حجته وتبديد دعوته وإفساد ملته وتمزيق أمته وتشويه سمعته ليصد الناس عنه قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(٣). وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه هؤلاء المجرمين وذكر كثيراً من أوصافهم وأعمالهم وأحوالهم وقصصهم مع الأنبياء السابقين وأتباعهم

(١) فاطر: ٤٣.

(٢) الفرقان: ٣١.

(٣) الأنعام: ١١٢.

المصدقين. بيد أن المتأمل في كتاب الله وما فيه من القصص يلاحظ أن فئة من هؤلاء الأعداء قد شغلت أخبارهم واحتلت أنباؤهم رقعةً من القرآن وقصصه. فبين أفعالهم مع أنبيائهم وصادقيهم و أظهر مواقفهم من المؤمنين على توالي السنين وأماط اللثام عن كثير من صفاتهم وأحوالهم وخصالهم التي اختصوا بها دون سائر الأعداء والمعاندين، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن شدة عداوتهم للمؤمنين الصادقين عامة ولخاتم النبيين وأتباعه خاصة فقال تبارك وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (١) فأشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ ودينه وأتباعه هم اليهود الذين مرّنا على تكذيب الأنبياء والرسول وقتلهم، ودربوا بالعتو والكفور والمعاصي والفجور عاندوا الله في أمره ونهيه وحرفوا كتبه، مردوا على اللعنة والذلة والمسكنة، طويت قلوبهم على الكفر والفسوق والعصيان فحاربوا الإسلام وأهله منذ أول وهلة وسعوا بكل وسيلة، وطرقوا كل باب وسلوكوا كل درب لإطفاء نور الله وإحباط دعوته ورسالته فباؤوا باللعنة والحية والغضب والخسار ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢) وقد حفظت آيات الكتاب ودواوين السنة وكتب السيرة ألواناً وصوراً من مكايد هؤلاء ومكرهم بالنبي ﷺ: لما قدم المدينة مهاجراً عاهد من فيها من اليهود وسالمهم وأقرهم على البقاء فيها ما أقاموا العهد وحفظوا المواثيق. إلا أن يهود لما رأوا ظهور الدين وانتصارات خاتم النبيين تملأ الحسد والحقد ملاً قلوبهم فتفجرت ينابيع الشر والغدر والخيانة في أفعالهم وأقوالهم فناصروا رسول الله ﷺ وأصحابه العدا المستحكم المرير، وأخذوا ضده كل كافر ومنافق أئيم فرحوا واستبشروا بما نزل برسول الله ﷺ وأصحابه من المنكرات والأزمات، وتألّموا لما أحرزه من الفتوحات والانتصارات فطفقوا يخططون وأخذوا يمكرون برسول الله ﷺ أنواعاً من المكر والكيد.

فمن ذلك أنهم أكثروا على رسول الله ﷺ الأسئلة تعنتاً وتعجيزاً ليخرجوا رسول الله ﷺ ويشككوا في صدقه ونبوته فأحبط الله عملهم وخبب سعيهم وفلّ قصدهم فأجابهم عما كانوا يسألون وأسمعهم ما يكرهون فقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِمَا

(١) المائدة: ٨٢.

(٢) الصف: ٨.

يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

ومما آذوا به رسول الله ﷺ أنهم سحروه ﷺ فقد أوعزت يهود عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى لبيد بن الأعصم اليهودي فسحر رسول الله ﷺ فكان ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله فأبطل الله كيدهم وأفسد مكرهم ففك الله عن رسوله ﷺ السحر وشفاه.

ومما آذت به يهود رسول الله ﷺ أنهم نقضوا العهود ونكثوا بالمواثيق وسلكوا دروب الغدر والخيانة والغش والاحتيال فألبوا القبائل على رسول الله ﷺ وأغروهم بقتاله وحرصوا على حربه ووعدهم بالمساندة والناصره عليه فلما بان نكثهم وظهر نقضهم أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة طائفةً تلو أخرى حتى كان آخرهم خروجاً بني قريظة الذين أجلاهم النبي ﷺ بعد غزوة الأحزاب كما قص الله علينا نبأهم في سورة الأحزاب.

وقد بلغ الحقد والغل والكفر في يهودَ منتهاه بعد انتصارات رسول الله ﷺ وأصحابه وبعد انحسارهم وانكسارهم فحاولوا أن يحيوا سنة آبائهم وأسلافهم فدبروا عدداً من المؤامرات لقتل النبي ﷺ وكان آخر محاولاتهم أن امرأة منهم دست السم لرسول الله ﷺ في شاة صنعتها فتناول ﷺ الذراع فلاك منها مضغة ولم يسغها فما زال لهذه الأكلة التي أكل ﷺ أثر حتى إذا كانت ساعة وفاته قال لعائشة رضي الله عنها كما في البخاري معلقاً بصيغة الجزم: ((يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم))^(٢) والأبهر عرق في الظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه وقد ورد عدد من الروايات بهذا المعنى: وهي تفيد أنه ﷺ مات شهيداً من أثر السم الذي وضعته اليهودية كما قال بعض أهل العلم وقد ذكر بعض أصحاب السير أن النبي ﷺ قال في وفاته: ((قتلني يهود)) ومهما يكن من أمر في ذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد قص علينا أخبارهم مع أنبيائهم وكيف فعلوا بهم فقال عنهم سبحانه: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(٣).

(١) البقرة: ١٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي معلقاً.

(٣) البقرة: ٨٧.

ومع هذه المكاييد كلها فقد رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله رسوله والمؤمنين شرّاً أعدائهم وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) فقد أخبر الله سبحانه أنه كافي نبيه وكافي أتباع نبيه ﷺ فلا حاجة للمؤمنين مع كفاية الله سبحانه وتعالى إلى أحد فمن كفاه الله وقاه ومن كان الله معه خاب كل من ضاده وعاداه.

الخطبة الثانية

أما بعد..

الحمد لله الذي وعد بإظهار دينه على كل دين ووعد بنصر عباده المؤمنين على كل عدو أفاك مبین والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد الأمين وعلى آله وأصحابه الطيبين. أما بعد فقد استعرضنا صفحة من تاريخ يهود مع هذه الأمة ممثلة بنبيها ﷺ وقد رأينا ما اجتمع في هؤلاء القوم من الكفر والاستكبار والعناد والظلم والغدر والحسد والبغي؛ ورأينا كيف آل بهم الأمر فأجلاهم النبي ﷺ عن المدينة وغزاهم في خيبر آخر معاقلهم في الجزيرة و أنزل بهم ألواناً من العذاب (السخط) بسبب ما اجتمع فيهم من خلال الكفر وصفاته فصدق الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(٢).

والتأمل في ماضي الأمة وحاضرها يدرك أن بلية الإسلام في أهله باليهود عظيمة شديدة فكم من معقل للإسلام قد سعوا في هدمه، وكم من حصن راموا هتكه، وكم من علم عملوا على طمسه ضربوا بمعاول الشبهات في أصله وروجوا الإباحية والفساد ليصدوا الناس عن عبادة رب العباد تحالفوا مع شياطين الإنس والجن ضده عملوا على إحداث الفرقة في أمته وإثارة الفتن بين أهل ملته، وعكفوا على ترويح وإشاعة وإنشاء الأقوال المبتدعة والآراء الضالة والمذاهب المنحرفة فهل السبعية إلا من بنات أفكارهم، وهل الباطنية إلا ثمرة جهودهم وهل الماسونية والعلمانية إلا نتاج مؤامراتهم ومخططاتهم فعداوة القوم

(١) الأنفال: ٦٤.

(٢) الأنفال: ٣٦.

للإسلام وأهله لم ترضَ محلاً لها إلا سويداء قلوبهم. وعداوة يهود للأمة ليست رهينة فترة زمنية ثم تنتهي، بل عداوتهم للإسلام وأهله دائمة إلى آخر الزمان ممتدةً عبر الليالي والأيام متوارثة جيلاً بعد جيل أوصى بها الأكابر والأصاغر وحملها سلفهم خلفهم، لذا فإن اليهود حلفاء كل من عادى الأمة، فبالأمس حالفوا مشركي العرب ضد النبي ﷺ واليوم حالفوا النصارى وغيرهم ضد أهل الإسلام وغداً يحالفون الدجال ويتبعونه ضد أمة الإسلام ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة))^(١) وقد قال ﷺ في حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: ((أكثر تبعة الدجال اليهود والنساء))^(٢).

إلا أن هذا الكيد والمكر الكبار إلى زوال واضمحلال إذا صبرت الأمة واتقت ربها وتمسكت بدينه قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٣). ولا نشك أن الله سبحانه وتعالى سينصر دينه ويعلي كلمته ويؤيد أوليائه طال الزمن أو قصر فإن العاقبة لله ولرسوله وللمؤمنين ويصدق هذا ما وعد به رسول الله ﷺ أمته ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله))^(٤) وهذا الحديث يفيد أن الصراع بين أمة الإسلام وبين يهود لن يضع أوزاره حتى يُقتلوا عن آخرهم كما أخبر النبي ﷺ فما دام في اليهود عرق ينبض وعين تلحظ وقلب يخفق فلن تزول هذه العداوة فإن معركتنا معهم معركة إبادة. فكل من حاول إزالة هذه العداوة أو رفعها فإنما يركض وراء السراب ويجرث في الماء ويضاد ما قضاه الله سبحانه كوناً وقدرًا وشرعاً والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم ٢٩٤٤.

(٢) أخرجه أحمد من حديث عثمان بن أبي العاص برقم ١٧٤٣٣.

(٣) آل عمران: ١٢٠.

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد والسير برقم ٢٩٢٦ وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم ٢٩٢٢ واللفظ لمسلم.